اللغة العربية وتحديات مجتمع المعرفة

إعداد أ.د. محمود كامل الناقة[1]

أولا: مقدمة:

الكتابة عن اللغة والمعرفة هى كتابة فى موضوع واسع وعريض وعميق، تتعدد فيه الطرق، وتتنوع المسالك، وتتشعب الدروب، وتتقاطع الاتجاهات، فاللغة والمعرفة ميدان واسع سعة الحياة فما المجتمع فى كل شئونه سوى لغة ومعرفة، ولذا فهما أشبه بمنسوجة واحدة إذا شددت منها خيطًا انسابت بين أصابعك وعلى سطور كتابتك بقية الخيوط فتصيبك الحيرة، كيف تعيد النسيج وتنظم الفكر وتنسق الكتابة؟!

وإذا أضفنا إلى ذلك الحديث عن اللغة العربية وتحديات مجتمع المعرفة زادت الحيرة وصعب الأمر وتطلب الكثير من العناء والجهدوالقدرة على لملمة الخيوط ونسجها، ولذا فالكتابة فى موضوع يتناول اللغة العربية وتحديات مجتمع المعرفة أشبه ما يكون براكب قارب مطاطى فى محيط لجى حيث تتلاطم الأمواج الهادرة، وتهب العواصف الكاسحة فتخلع من بين يديه مجاديف السير، وتتوه عن ناظريه الطريق، ويصبح الأمر الذى يعيشه –لامحالة- محاولة للنجاة وابتعاداً عن الغرق.أقول هذا حتى أبرر أن محاولتى هنا الكتابة فى هذا الموضوع ترتبط بوقت ضيق ومساحة محدودة، وجهد مقل، وإلا احتاج الأمر لأن يكتب الإنسان موسوعة، تتطلب وقتاً ومساحة وجهداً يفوق عشرات المرات ماهو متاح لهذه الورقة، التى تمثل فى نهاية الأمر سياحة فكرية أقف فيها ببعض الأبعاد، وأطرح حولها بعض الأفكار، متجاوزاً أبعاداً عديدة وأفكاراً كثيرة مما يمكن لكل فاحص لهذه الورقة أن يغنى أبعادها ويثرى أفكارها، فهكذا تتلاقح الأفكار وتتكامل المعارف وتنمو.

إن الحديث عن اللغة العربية هو فى حقيقة الأمر حديث عن الأمة العربية، ومن ثم فهو حديث عن ثقافة هذه الأمة بالمعنى الشامل لمفهوم الثقافة، وتناول واقعها الآن إنما هو عرض لواقع هذه الثقافة متطورة كانت أو متخلفة. إن اللغة العربية فى واقعها الآن إنتاجا واستخداما إنما هى المرآة التى تعكس حياة هذه الأمة الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والتكنولوجية

1أستاذ المناهج والتدريس بجامعه عين شمس- رئيس الجمعية المصرية للمناهج والتدريس- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

والفنية، ولذا فضعف اللغة العربية أو قوتها الآن إنما هو معيار لايمكن تجاوزه فى إصدار حكم حضارى على مدى قوة أصحابها أو ضعفهم.

وللغة العربية فى حياة الأمة العربية أدوار كثيرة ومتعددة، يطول فيها الحديث، ويتشعب حولها التفصيل، إلا أن جل ما ينبغى الاهتمام به الآن هو دورها الذى ينبغى أن يتعاظم فى مجتمع المعرفة، لأنه لامفر من أن نعيش هذا المجتمع ونعايشه ونحتل مكانا من أماكن القيادة فيه، فنحن فى حاجة إلى تطوير حياتنا وتحديثها مسايرة لهذا المجتمع، ونحن فى هذا السياق لانستطيع أن ننكر المقولة التى تقول: إذا أراد الناس تطوير حياتهم وتحديثها فإنهم يلجئون إلى اللغة، لأن حياة الناس مبنية على الفكر أولاً، حيث هو أساس التطبيق. واللغة والفكر صنوان، ولذا فلا نستطيع أن نتصور لأمة من الأمم ثورة فكرية كاسحة للتخلف إلا أن تكون بدايتها نظرة عميقة عريضة تراجع بها اللغة وطرائق استخدامها، لأن اللغة هى الفكر، ومحال أن يتغير هذا بغير ذلك (زكى نجيب محمود 1987، 230) .

ولابد أن نسلم بضرورة أن تكون اللغة العربية –فى مجتمع المعرفة- أداتنا لاكتساب المعرفة ، ووسيلتنا الفاعلة لتحليلها وتفسيرها وتنظيمها وتطبيقها والانتفاع بها والإضافة إليها، وهى قبل كل ذلك وبعده وسيلتنا للتفكير والإبداع والمشاركة فى تطوير المعرفة الإنسانية وإثرائها، ومن ثم الارتقاء إلى مصاف الأمم المنتجة للمعرفة، حيث تقسم الأمم والدول فى العالم الآن تقسيماً لا يقوم على الإنتاج الصناعى المتقدم أو ما شابهه وإنما يقوم على أساس من مفهوم مجتمع المعرفة، فهناك أمم منتجة للمعرفة وأخرى مستهلكة، فالأمم المنتجة هى تلك التى تضيف إلى رصيد المعرفة الإنسانية من خلال إبداعات أبنائها وابتكاراتهم ، تلك التى غالبا ما تكون لغتهم هى أداتهم لذلك، أما الأمم المستهلكة للمعرفة فهى تلك التى تحيا على ما تنتجه الأمم الأخرى وليس لها من سبيل للإضافة إلى المعرفة الإنسانية لأن لغتهم غير قادرة على القيام بهذا الدور الذى هو مناط الإبداع والإبتكار ومن حيث إن أمة بلا إبداع هى أمة بلا لغة.

والحديث عن اللغة العربية فى مجتمع المعرفة وما يمكن أن تواجهه من تحديات، يستدعى أن نلم بطرف عن طبيعة هذا المجتمع بما يساعد على استنتاج بعض السمات التى تفرض ما يمكن أن يمثل تحديات للغة العربية، فمجتمع المعرفة مجتمع يعيش تحولات معلوماتية معرفية

متسارعة ما نكاد نمسك بتحول منها إلا ويسبقك الآخر، وينفلت من بين يديك الثالث، وما تكاد تمسك بطرف من معلومة أو معرفة إلا وينساب بين يديك وفى عقلك وإلى مخزونك أطراف متلاحقة متتالية متكاثرة حتى ليعجز الفرد والمجتمع نفسه عن ملاحقة تلك التحولات، والإحاطة بكل الأطراف واستيعابها، وهو عجز يمثل فى نفس الوقت حافزاً على التفكير فى كيفية مجاراة هذه التحولات وملاحقتها، والإمساك بتلابيبها والإلمام بأطرافها، ومحاولة السيطرة عليها والتكيف لها.

وتتمثل هذه التحولات فيما يسمى بشكل دقيق (التدفق المعرفى) وأيضا (الفيض التكنولوجى)، حيث نصبح على نظريات علمية جديدة، ونمسى على تطبيقات حيوية مذهلة ، ونتلقى كل ساعة كماً رهيباً من المعلومات، ونسبح وسط أمواج وتيارات هائلة من المعارف، وتأخذنا إليها أشكال جديدة من التكنولوجيا، وابتكارات فوق التصور لتكنولوجيا المعرفة، وأجهزة شديدة التعقيد يسيرة الاستخدام تعمل على توظيف المعرفة واستخدامها وصولاً إلى معرفة جديدة ، وكأننا فى هذا السياق نود أن نقرر أن السمة الرئيسة لمجتمع المعرفة هى الإنتاج الكثيف واللحظى لصناعة المعلومات والمعارف، هى التزايد المفرط فى كم المعرفة وكيفها وتعقدها وتعدد أبعادها وأعماقها وتزايد اتساعها وتشابكها، فإذا صحب كل ذلك تقدم هائل وسريع ومبهر فى نظم الاتصال ونقل المعلومات، تلك التى تخترق الحدود وتعبر السدود، وتقطع المسافات وتتجاوز المساحات والأزمنة، أدركنا ما للغة من دور عظيم فهى أداتنا كما أشرنا إلى اكتشاف المعرفة واكتسابها وفهمها واستيعابها واختزانها واستدعائها وممارستها وتطبيقها وتجديدها والابتكار فيها والإضافة إليها.

وهنا لابد أن نقرر أن هذا الذى يدور فى مجتمع المعرفة من ثورات معرفية وتحولات وتدفقات ونظريات واختراعات واكتشافات وإبداعات وتطبيقات إنما تحمله لنا اللغة، حبذا لو كانت اللغة الأم لأنه بها – كما تقرر كل الأدبيات – يمكن بشكل أعمق فهما، وأوضح استيعابا، وأيسر استخداما –كما سبق أن ذكرنا- اكتشافا واكتسابا وهضما واستخداما وتطويراً وإبداعاً، لأن اللغة الأم هى القادرة عى تمكين الناطق بها من معايشة المعرفة، والاستغراق فيها، والتفاعل معها، واستبطانها، والاغتراف منها، ومن ثم استخدامها وتطبيقها فى حياته.

إلا أنه بازدحام مخزون المعرفة ، وبتسارع منتج العقل الإنسانى وتدفقه ، وبتجدد

المعلومات تجدداً لحظياً ، وبتراكم المعرفة النظرية والتطبيقية، وبظهور المفاهيم الجديدة والمسميات الحديثة، والمصطلحات المصكوكة، والمدركات المبتكرة، والتعبيرات المركبة، والدلالات المستحدثة، والعلوم المضافة، والميادين والمجالات المعرفية المبهرة، والاستخدامات العجيبة، والتطبيقات العلمية والاجتماعية المطورة للحياة ، والتكنولوجيات الإلكترونية المذهلة... وغيرها ، أقول : إنه بكل ذلك وأمامه قد تجد اللغة الأم- وهى فى سياقنا اللغة العربية- مجموعة من التحديات لقدرتها على مجاراة هذا المجتمع، واستيعاب معرفته، واحتضان معلوماته، ثم التعبير عنها ونقلها، وتيسير استخدامها وتطبيقها، ولعل لغتنا العربية من اللغات التى تواجه هذا الموقف، ذلك أن اللغة المسيطرة الآن على مجتمع المعرفة هى اللغة الإنجليزية تقريبا، باعتبارها لغة عالمية سادت وانتشرت وأكدت قدرتها وعالميتها كوعاء لكل مجالات المعرفة الإنسانية، ولعل هذا يثير تساؤلين تحاول هذه الورقة أن تجيب عنهما ألا وهما:

الأول: ما التحديات التى يمكن أن تواجه اللغة العربية فى مجتمع المعرفة؟

وقد يصاغ بشكل آخر هو: ما التحديات التى يضعها مجتمع المعرفة أمام اللغة العربية؟

الثانى: هل اللغة العربية قادرة على مجابهة هذه التحديات والاستجابة لمتطلبات مجتمع المعرفة؟! وما الدور الذى ينبغى أن تقوم به فى مواجهة هذه التحديات؟

ثانيا: تحديات مجتمع المعرفة

تفرض طبيعة مجتمع المعرفة بما تقتضيه طبيعة المعرفة نفسها وخصائصها تحديات تتطلب من المجتمع أفراداً أو جماعات آليات وإجراءات للتكيف مع هذه الطبيعة، ومواجهة تلك التحديات، ولتلائم واقعها مع طبيعة مجتمع المعرفة، ولتتلاءم مع متطلباته لتصبح جزءاً منه، ولعل من أهم سبل مواجهة هذه التحديات فى عالمنا العربى تعظيم دور اللغة العربية فى جميع جوانب الحياة العلمية والثقافية، وفيما يلى نستعرض أهم التحديات التى يفرضها مجتمع المعرفة، ثم الكيفية التى تمكننا عن طريق اللغة العربية من مواجهة تلك التحديات.

الإنفجار المعرفى:

نظراً لزيادة معدل الأبحاث والاكتشافات العلمية فى مجتمع المعرفة، والتى أدت إلى

تضييق الفجوة بين النظرية والتطبيق فقد تزايدت المعارف والمعلومات المتاحة؛ مما شكل تحديا أمام الفرد؛ حيث يحتاج إلى تعرف هذا الكم الهائل من المعارف خلال فترة زمنية وجيزة، وكذلك يحتاج إلى التحقق من صحة هذه المعلومات والمعارف حتى يمكنه استخدامها بشكل آمن فى مواقف الحياة المختلفة؛ وهذا يتطلب من الفرد أن يتحقق من مصدر تلك المعلومات، والمعارف، وأن يتمكن من نقد هذه المعلومات من حيث التمييز بين الرأى والحقيقة فيها، وكذلك التميز بين الحقيقة والخيال، وتحديد الغرض الذى يستهدفه مصدر هذه المعلومات من وراء عرضها، كما يتطلب من الفرد أن يكون قادراً على انتقاء المعلومات والمعارف التى يحتاجها دون غيرها، وتوظيفها لحل مشكلاته ومشكلات مجتمعه، ولعل الأمر لايقتصر على هذا لأن الفرد سيظل مطالبا بأن يكون قادراً على اكتشاف معلومات جديدة، والتوصل إلى معارف مبتكرة استناداً إلى ما اكتسبه من مخزون المعلومات والمعارف، ومن خلال عمليات التفكير الإبداعية والتأمل الابتكارى. إن هذه فى الحقيقة أمور تمثل تحديات للفرد فى مجتمع المعرفة، ومن ثم تحديات للفرد فى المجتمع العربى والذى يعول كثيراً على لغته فى مواجهتها.

سباق المعرفة:

نعرف أنه من السمات المميزة لمجتمع المعرفة سرعة الإنتاج المعرفى وكثرته وغزارته وتنوعه وكثافته، وأيضاً سهولة انتقاله زمانا ومكانا فى شتى أنحاء العالم، مدنه وقراه، فى أقل وقت ممكن، قد يصل إلى حد الثوانى، مما أوجد سباقا تنافسيا قسم المجتمعات إلى نوعين ، نوع منتج للمعرفة، وآخر مستهلك ، ترتب على هذا التنافس حدوث سباق معرفى بين الدول حول أسبقية إنتاج المعلومات وامتلاكها؛ ومن ثم شكل ذلك تحديا أمام جميع الدول لتطوير قدرات أبنائها ليصبحوا مكتشفين للمعرفة منتجين لها، وليسوا مكتسبين لها وقادرين على استخدامها فقط لأنهم بذلك يعيشون عالة على معارف أنتجها الآخرون، ويظلون كذلك تابعين غير مبادئين، وليصبحوا راغبين فى احتلال مكان متقدم فى صدارة السباق المعرفى مع غيرهم من دول وأمم ومجتمعات. ولعل اللغة العربية فى حالتنا كعرب- هى الأداة الفاعلة التى تمكن الناطقين بها وتقدرهم على إنتاج المعرفة، وتدفعهم إلى المنافسة فى هذه السوق، وحيازة مكان فى صدارة السباق المعرفى.

3- صراع الثقافات:

نظراً لطبيعة مجتمع المعرفة ومن خلال الإنفجار المعرفى والسياق المعلوماتى، وما ترتب على ذلك من سرعة انتقال المعرفة والمعلومات، وسهولة ويسر الاتصال ومن ثم التواصل بين جميع الأفراد فى مختلف دول العالم، فقد أصبح كوكب الأرض قرية صغيرة انتقلت فيها الإنجازات المعرفية والتكنولوجية من الدول الراسخة معرفيا إلى الدول الأقل فى النمو تحمل معها أفكاراً وقيماً واتجاهات مختلفة لثقافة منتجيها، ولا تقف عند حدود عرض تلك الثقافات، وإنما تتجاوز إلى فرضها وفق آليات محددة. ولقد أدى هذا –غالبا- إلى قيام الكيانات والتحالفات الدولية، ومعها انحسر دور الدولة القومية، مما أدى إلى حدوث صراع ثقافى تحاول فيه الدول ذات النفوذ الأقوى فى منظومة المجتمع الدولى (الدول المنتجة للمعرفة) فرض ثقافتها وقيمها على الدول ذات التأثير الأقل (الدول المستهلكة للمعرفة)، ومن ثم شكل هذا الصراع الثقافى تحديا أمام دول العالم المختلفة ومجتمعاته المتعددة ذات النفوذ القوى، وبين الدول والمجتمعات ذات النفوذ الأقل، حيث وجب على تلك الدول والمجتمعات أن تحصن أبناءها ضد الغزو الثقافى للدول والمجتمعات الأخرى، من خلال الحفاظ على هويتها وثقافتها وتقاليدها، بحيث يكون أبناؤها فاعلين بثقافتهم فى الآخرين ممثلين لها ولهويتهم غير متأثرين بما يخالف قيمهم وتقاليدهم. ومن هنا يصبح التحدى الرئيسى هو تنمية الهوية الثقافية. والحديث عن هوية الأمة وثقافتها وتقاليدها، وتمثيل أبنائها لتلك الهوية الثقافية هو حديث عن اللغة التى هى هوية الفرد، فالفرد لا يعرف بهيئته وسمات وجهه وإنما يعرف بلغته، كما أنها سبيله لمعرفة ثقافته ومعايشة جذورها وتراثها، وأيضا سبيل الآخرين لمعرفة هذه الثقافة، لذلك قيل: إن اللغة وطن، ومن ثم يبرز السؤال: هل تستطيع اللغة العربية أن تواجه هذا التحدى؟!

4- الإبداع:

المعرفة نتاج عقل ومحتواه، وهى أداته لإنتاجها وإبداعها، لذا فالإبداع والمعرفة صنوان، هما وجهان لعملية واحدة، مثلهما فى ذلك مثل التفكير والعلم، لايعيش أحدهما دون الآخر، ومن هنا يصبح الإبداع مكونا أساسيا من مكونات مجتمع المعرفة، وفريضة عين يتحتم القيام بها، نقول ذلك لأن المعلوماتية وهى ظهير المعرفة وأساسها هى الابن الشرعى للإبداع الإنسانى فى

مجالات العلم المختلفة، ذلك الإبداع الذى يمثل القدرة على إنتاج المعرفة وآليات تطبيقها، ومن ثم يمثل أحد التحديات الكبرى المحسوبة فى مجتمع المعرفة، فلا خيار أمام الأمم فى هذا المجتمع سوى الإبداع، ومن ثم تواجه هذه الأمم تحديا مهما هو تنمية مهارات التفكير الإبداعى لدى أبنائها بحيث يتمكنون من إيجاد حلول متعددة ومبتكرة للمشكلات التى تواجه مجتمعاتهم، وتوليد علاقات جديدة بين الأشياء والمفاهيم التقليدية، وإيجاد استخدامات مبتكرة للمعلومات، والتوصل إلى معلومات جديدة من خلال المعلومات المكتسبة، ويتمثل تحدى الإبداع عند الأمم المختلفة فى تنمية الدافعية لدى أبنائها نحو المخاطرة المحسوبة، والتفكير التباعدى الذى لا يرى لأى مشكلة حلا وحيدا، وتحمل الإحباط عند الفشل، والإحساس بالمسئولية نحو النفس والمجتمع، والثقة بالنفس، والقدرة على اتخاذ القرار، والتمرد الإيجابى على الحلول التقليدية للمشكلات.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن أمة بلا إبداع أمة بلا هوية، ولا يوجد المبدع الذى ينتسب إلى ثقافة ولا يختزن فكراً ، إذ لابد أن يكون المبدع صاحب ثقافة عريضة عميقة، ملما بإبداعات الآخرين وأساليبهم وفنياتهم وفلسفاتهم ورؤاهم، ولابد أن يكون مفكراً يولد ويحلل ويستنتج ويربط ويجدد ويبتكر، ولذا فالإبداع مشروط بالثقافة والفكر وكلاهما اللغة أداته وثمرته، فهل تستطيع اللغة العربية أن تواجه هذا التحدى؟

5- الحرية المعرفية:

لقد أدى ظهور الحاسوب ووسائل الاتصال والتواصل بأشكالها المتعددة، وأنواعها الكثيرة، وفنياتها وأساليبها المبهرة إلى ربط قواعد معلومات هائلة بوسائل الاتصال عن بعد وبالحواسيب الشخصية حتى أصبح الإنسان فى واقع يمكنه من الاتصال بأى مكان فى العالم والتواصل معه والحصول على ما يريد من معلومات فى أقل وقت ممكن، لذا كان على الأمم فى مجتمع المعرفة أن تواجه إتاحة المعلومات والمعارف لجميع الأفراد بحيث يتوافر لهم حق المعرفة الصحيحة عن مجتمعاتهم، وعن المجتمعات الأخرى دون حجب أو تزييف للمعلومات لاعتبارات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، وبحيث تتميز تلك المعرفة بالصدق والموضوعية غير مرتبطة بتوجهات سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية محددة أو منحازة إليها. كما ينبغى أن يتاح لجميع الأفراد –

على حد سواء- الحق فى الاطلاع على تلك المعارف واستخدامها مع الاحتفاظ بحقوق الملكية الفكرية لمصادر تلك المعلومات.

والسؤال هو: هل يمكن للإنسان أن يحوز لنفسه حق المعرفة والاطلاع عليها واستخدامها دون اللغة؟ وهل يمكن للعربية أن تواجه هذا التحدى وتوفر لأبنائها المعارف والمعلومات وتتيحها لهم؟!

6- وحدة النظرية والتطبيق ووحدة المعرفة:

على الرغم من تشعب المعرفة وتعددها وتنوعها، إلا أنه يمكن النظر إليها كوحدة متكاملة متصلة الأركان؛ فالتقدم المعرفى الناتج عن مجموعة أبحاث ، أو اكتشافات علمية فى مجال معرفى بعينه يساعد على إثراء المعارف والمعلومات فى مجالات أخرى، فعلى سبيل المثال: التقدم فى أبحاث النانو تكنولوجى قد ساعد على تطوير الأبحاث الطبية؛ ومن ثم فوحدة المعرفة تطرح تحديا فى مجتمع المعرفة هو إزالة الحواجز المصطنعة بين المجالات المعرفية المختلفة، وتشجيع التعاون بين الباحثين فى هذه المجالات، والتركيز على المداخل البينية فى تعليم المجالات المعرفية المختلفة، والربط بين الأبحاث العلمية وسوق العمل، أى الاتجاه نحو تلازم المعرفة النظرية فى وحدتها مع التطبيق والإجراء والممارسة ، ففى مجتمع المعرفة تلاشت المسافات بين ماهو نظرى وماهو تطبيقى "فلقد فرض عصر المعلومات ضرورة تنمية القدرة لدى أفراد المجتمع على تطبيق نتائج العلم والمعرفة وتحول قياس التقدم من المعرفة إلى تطبيقاتها مما زاد من أهمية اقتصاديات المعرفة والذى بموجبه يتم تحويل تلك المعارف إلى أدوات حياتية. فوزى رزق شحاتة" (2001 ص789). وهنا يبرز تساؤل بدهى وهو: هل تستطيع اللغة العربية أن تستوعب المعرفة النظرية وأن تعبر عن كيفية تطبيقها، وهل تمكن أبناءها من استيعاب النظر وفى ذات الوقت تقدرهم على تطبيقه؟

7- استثمار العقل:

وهو ما أشار إليه (محمد سيد أحمد 1995، 67) بأن الاستثمار تحول إلى مجالات العلم والمعرفة بدلاً من مجالات الصناعة والبناء والآلات، مما يعنى الاعتماد على العقل الإنسانى بدلاً من الاعتماد على الخامات والموارد الطبيعية، فالموارد الطبيعية ثروة هامدة كامنة، وما يحركها

ويستثمرها وينميها هو العقل الإنسانى، إذن فبناء هذا العقل وتنميته وتحديثه وتعليمه واستثماره وتعريفه أمر يعتبر من تحديات مجتمع المعرفة لأى أمة، ولعلنا لا نبالغ عندما نقول إن العقل انسانى هو الفكر، والتفكير واللغة هى أداة التفكير، فعن طريقها يقوم الإنسان بالعمليات التفكيرية من تفسير وتحليل وموازنة وإدراك للعلاقات ، واستخراج للنتائج، وتجريد وتعميم، ثم يصيب ناتج كل هذه العمليات عندما تمده اللغة بالرموز التى تحدد له المعنى وتحمل له الأفكار، ومن هنا تصبح اللغة منهج فكر، وطريقة نظر، وأسلوب تصوير، وليست فقط رموزاً وقواعد . من هنا نجد أن من بين تحديات استثمار العقل فقر اللغة وضيق الألفاظ ووضوح المعانى ودقة الدلالات، وكلها من أمور اللغة، فهل تستطيع اللغة العربية أن تعبر هذا التحدى وتمكن الأمة من استثمار عقول أبنائها؟

8- تطور البحث العلمى:

يعتبر البحث العلمى سمة رئيسة من سمات مجتمع المعرفة، وفى الوقت نفسه يمثل أحد التحديات التى يفرضها هذا المجتمع على المجتمع الإنسانى، والحديث عن البحث العلمى فى مجتمع المعرفة حديث عن العمود الفقرى لهذا المجتمع، والمصدر الأساسى للمعرفة، والوسيلة الرئيسة لاكتشافها وتوظيفها وتوطينها، فالبحث العلمى نشاط يقيم أنساقا معرفية، ويكتشف معارف جديدة، ويتوصل إلى قوانين وتعميمات ومبادئ لتفسير الظواهر والتنبؤ بها والتحكم فيها، وهو نشاط يقوم على الإحاطة والفحص والتحليل والاستقصاء والتأمل واكتشاف العلاقات الخفية، كما أنه نشاط –قبل ذلك وبعده- ينمى ثقافة المجتمع ويرقى بعلميتها ويطورها ويحسنها ويجددها، وأحسب أن اللغة أداة كل هذا النشاط ووسيلته لينتقل من العقل إلى العمل ، ومن الفكر إلى التطبيق.

إن البحث العلمى هو أساس ما نعيشه من تقدم علمى وتكنولوجى ، وهو مفجر الثورة العلمية والتقنية التى نراها ملموسة ومكتوبة، وبالتالى نستطيع أن نقرر أن هذا التقدم العلمى التقنى وهذه الثورة المعرفية هى نتاج العقل البشرى القائم بعمليات البحث، كما أنه محصلة للتفكير الذى يعتمد على اللغة أداة له وفى ذات الوقت وسيلة لحمل ثمراته ، فالعلم إذن يصب فى النهاية ويصاغ فى لغة دقيقة قبل أن يتحول إلى تطبيق وممارسة فالفيزيائى والكيميائى والرياضى

... الخ هؤلاء جميعا فى حاجة إلى أن يتعرفوا العلاقات بين الظواهر، وإلى أن يوازنوا ويقارنوا ويحللوا ويستنتجوا، وأن يعملوا على إفهام الآخرين ما توصلوا إليه من نتائج، وما أثبتوه من حقائق، وما أحسوا به من مشاعر تحيط بالعلم، فإذا لم تكن لديهم لغة تمكنهم من التعبير المنطقى بحيث يكون كل ما يقولونه بعيدا عن اللبس والغموض لما تحققت الفائدة، ذلك لأن من لا يحسن التعبير لايتمكن من إفهام الآخرين فضلا عن أنه هو نفسه لايتمكن من أن يفهم (محمد أحمد الشريف وآخرون 1979 ،40) ونحن نعلم أن للعلوم خصائصها وأساليب التفكير والتعبير الملائمة لها، ومنها الوضوح والدقة وملاحظة الوقائع وتدوينها وعرض الأفكار بتتابعها المنطقى واستناد بعضها إلى بعض، لذلك فقد استشعرت بعض الجامعات فى البلاد الصناعية الحاجة إلى تدريب طلابها على ما تتطلبه العلوم المختلفة من أساليب فى التفكير والتعبير اللغوى وذلك بعد اكتشافها تقصير المتخرجين منها فى الفروع العلمية والهندسية فى حسن استعمال اللغة، ومن الكلمات المأثورة فى هذا التقصير والذى يفهم منها أهمية اللغة فى الثورة العلمية قول الروائى الإنجليزى (بارى) عند مطلع القرن العشرين (يبدو أن رجل العلم هو وحده الذى لديه ما يقوله فى هذه المرحلة، ولكنه الرجل الوحيد الذى لا يعرف كيف يعبر عما لديه من أفكار) (محمود الناقة1977، 29) .

إن المعرفة بالعلم مضمونة، وتطبيقاته جزء مهم من تكوين شخصية الإنسان ومن اكتسابه الخبرة، ووسيلة الفرد إلى هذه المعرفة هى اللغة التى تقدم له المعلومات والحقائق والنظريات التى تساعده على حل كثير من مشكلاته، وتمكنه من تعرف التطورات العلمية فى شتى المجالات التى يطالعنا بها العالم كل يوم متمثلا فى الجديد من الحقائق العلمية والمكتشفات والمخترعات والنظريات، هذا وإن كان التقدم العلمى والانفجار المعرفى أكبر وأسرع من إمكانية الإنسان إلا أن اللغة أتاحت له ذلك ومكنته منه.

ولا يحتاج الأمر أن نكرر أن العلم يتمثل فى قوانين وأسس ومبادئ ونظريات ومفاهيم وتعميمات وهى كلها مما لا يمكن أن يتواجد إلا فى شكل صياغات لغوية دقيقة ومحددة. وحتى فى تطبيقات العلم فإنها تقوم على مجموعة من التعليمات والتوجيهات والإرشادات التى تحملها اللغة لكى يتبعها الفنيون والمطبقون ، وهكذا نجد أن اللغة وسيلة لتطوير العلم وأداة من أدوات

تسجيله وحمله ونشره وتطبيقه، فإذا ضعفت اللغة وانهارت لم تعد قادرة على القيام بهذه الرسالة، فهل تستطيع العربية القيام بدورها فى هذا الميدان وعبور هذا التحدى؟!!

9- شيوع استخدام شبكة المعلومات العالمية وهيمنة اللغة الإنجليزية:

تحتل شبكة المعلومات العالمية الآن -نتيجة لتطبيقات تكنولوجيا المعلومات- مكانة كبرى فى ميدان الاتصال العلمى ونشر المعلومات والمعارف وتداولها، وهى تكاد تقوم بدور المرجع الرئيسى والموسوعة العلمية البانورامية لكل المعارف الإنسانية بمجالاتها وأنواعها وأبعادها المتعددة والمختلفة، وهى بذلك تمثل ثورة تشمل جميع مناحى الحياة، محققة عبور الزمان والمكان وأنواع الجنس البشرى ومسمياته وعقائده، وبهذا نجحت فى أن تكون أداة فعالة لتغيير وتطوير جميع المجالات الأكاديمية والعلمية.

ولقد صاحب هذه الثورة العلمية التكنولوجية المتثلة فى الشبكة العالمية هيمنة اللغة الإنجليزية، فنظراً لأن معظم الأبحاث والاكتشافات العلمية فى وقتنا المعاصر قام بها علماء وباحثون معظمهم أوربيون وأمريكيون فقد سيطرت لغاتهم على التواصل المعرفى فى مجتمع المعرفة، من هنا سادت اللغات اللاتينية وفى مقدمتها الإنجليزية وأصبحت لغة المعلومات والمعارف التى تكتب بها الأبحاث، وتسجل نتائج العلم وحقائقه، وتصاغ فى قوالبها وألفاظها المفاهيم الجديدة والمصطلحات العلمية، ومن نتائج كل ذلك أصبحت الإنجليزية – تقريبا- هى اللغة المستخدمة فى الشبكة العالمية ، ومن ثم المؤتمرات العلمية ، وشاع بين الكثيرين أمما وأفراداً أنها لغة العلم والتعليم والتعلم، خاصة فى مجالات معرفية ذات أهمية خاصة مثل الطب والهندسة والعلوم التطبيقية الأخرى، ووصل الأمر فى كثير من الدول أن أصبحت الإنجليزية لغة تعليم وتعلم، بل ولغة تواصل من حيث الإعلانات ومسميات الهيئات والمؤسسات والمحلات واللافتات. ولعل هذا من التحديات التى نعتقد أن اللغة العربية قادرة على مجابهته والتغلب عليه.

10- اهتمام العرب بلغتهم:

من أكبر التحديات التى تواجه اللغة العربية فى مجتمع المعرفة قضية : هل هناك قصور فى اللغة العربية يجعل كل هذه التحديات عقبات فى وجه اللغة العربية لتعيش مجتمع المعرفة وتشارك فيه وتساهم ؟ أم أن القصور ليس فى اللغة –كما تدل الأدبيات العربية والأجنبية- وإنما

فى أهلها ، وفى مدى اهتمامهم بلغتهم إغناء وإثراءً وتعليما واستعمالاً فى ميادين التعليم والعلم والترجمة، وشعوراً بمكانتها وقدراتها وميزاتها واعتزازاً بها وتمسكاً بتراثها واتساعها ودقتها؟ إنه لتحد حقيقى لأهل العربية لأن يقوموا بمهامهم فى ميدان تعريب العلوم والترجمة وتعريب التعليم ... الخ ما ينبغى أن يقوم به العرب لجعل لغتهم – وهى قادرة على ذلك- لغة معتمدة فى مجتمع المعرفة مساهمة فيه أخذاً وعطاءً.

أمام كل هذه التحديات تبرز الترجمة كتحد رئيس من تحديات مجتمع المعرفة أمام الكثير من لغات العالم ولعل على رأسها تأتى العربية، فنتيجة للانفجار المعرفى والتقدم التكنولوجى الهائل فى جميع مجالات الحياة تتعاظم أهمية الترجمة العلمية، وتزداد هذه الأهمية بالنسبة للعالم العربى لكونه متلقيا للمعرفة أكثر منه منتجا لها، وتزداد أهمية تنشيط الترجمة إلى العربية، ومع تضخم حجم النشر العلمى الذى ينمو بمعدلات متسارعة تعددت المصادر الأجنبية للثقافة العلمية وهو أمر يفرض علينا إعطاء الترجمة إلى العربية اهتماماً زائداً لدورها الفاعل فى نهضتنا الثقافية والعلمية، ودورها الفاعل أيضا فى إثبات قدرة اللغة العربية على استيعاب المعرفة والعلم والتعبير عنهما والإضافة إليهما.

وبعد، فقد عرضنا فى الصفحات السابقة بعضا من أهم تحديات مجتمع المعرفة مما يمكن أن يجابه اللغة العربية –وغيرها من لغات عديدة- التى تتمثل فى الانفجار المعرفى، وسباق المعرفة، وصراع الثقافات، وحتمية الإبداع، وحرية تداول المعلومات، ووحدة المعرفة ووحدة النظرية والتطبيق، واستثمار العقل، وتطور البحث العلمى، وشبكة المعلومات العالمية واهتمام العرب بلغتهم، وبقى أن نعرض للمحات من الكيفية التى تتخطى بها اللغة العربية هذه التحديات وتعبرها.

ثالثا: اللغة العربية فى مواجهة تحديات مجتمع المعرفة:

عند كتابة هذا الجزء من الدراسة وجدت أننى بصدد الاختيار بين أحد أمرين أو مدخلين للتناول: أحدهما وهو ما قد يخطر بالبال سريعا وهو أن آخذ كل تحدٍ من التحديات التى عرضتها سابقا وأبين كيف للغة العربية أن تواجهه، أما الثانى فهو أن أعرض مجملاً وبشكل عام هذه الكيفية آخذاً فى الاعتبار ضرورة مراعاة التحديات فى تشابكها أحيانا وتباينها أحيانا أخرى. ولقد

وجدتنى أميل إلى المزج بين المدخلين، أولاً لصعوبة التناول بالمدخل الأول، لأنه سيفرض الحديث عن أمور قد تتكرر كثيراً فيما يتصل بكيفية مواجهة التحديات ويصبح هذا التكرار غير مقبول، ثانيا لأن المدخل الثانى قد يحتاج إلى الإشارة إلى تحديات بعينها، والوقوف وقفات خاصة ببعضها، وهو ما يسوغ العودة إلى المدخل الأول- على أية حال لابد من الإشارة فى هذا السياق إلى صعوبة الكتابة عن اللغة العربية فى مواجهة تحديات مجتمع المعرفة، ذلك لأن هذا موضوع متعدد الأبعاد، متشابك المكونات، واسع المدى يحتاج إلى صفحات موسوعية وليس ورقة من عدة صفحات، لذا أرجو أن يغفر لى القارئ هذا الطرح الكلى الموجز فى محاولة مختصرة لعرض موقع اللغة العربية من تحديات مجتمع المعرفة.

دعونا نقرر أولاً أن مجتمع المعرفة مجتمع قائم على الفكر والتفكير، وناتج علميته ومعرفيته وتكنولوجيته إنما يقوم على الفكر والتفكير، وليس هناك فكر أو تفكير فى فراغ لغوى، إذ إن اللغة هى أداة التفكير، كما أنها ثمرة من ثمراته، فعن طريق اللغة يقوم الإنسان بالعمليات التفكيرية، من تفسير وتحليل وموازنة وإدراك للعلاقات واستخراج للنتائج وتجريد وتعميم، ثم يصب ناتج كل هذه العمليات عندما تمده اللغة بالرموز التى تحدد له المعانى وتحمل له الأفكار، فلكى يعبر الإنسان بوضوح لابد أن تكون الفكرة واضحة فى ذهنه وذلك لأن وضوح الفكرة فى ذهنه يؤدى إلى وضوح التعبير عنها وكلا الأمرين –وضوح الفكرة فى الذهن ووضوح التعبير عنها- عملية تستند إلى اللغة، ولذلك نستطيع أن نقول إن اللغة هى التفكير ويشير "فانيير" إلى أن ما يؤثر فى أعماقنا بشكل غامض ومبهم لايستحق أن نطلق عليه اسم فكرة أو إحساس أو رغبة أو غاية قبل أن يتشكل فى لغتنا (محمود السيد، بدون، 30) ولذلك فاللغة ليست رموزا ولا مواصفات فنية فحسب، ولكنها فى الأساس منهج فكر وطريقة نظر وأسلوب تصوير، هى رؤية متكاملة تمدها خبرة حضارية متفردة ويرفدها تكوين نفسى مميز، فالذى يتكلم لغة هو فى واقع الأمر يفكر بها، فهى تحمل فى كيانها تجارب أهلها وحكمتهم وخبرتهم وكلمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم (خير الدين حسيب 1982، 20) وهكذا نجد أن اللغة والفكر شىء واحد ، "فاللغة هى الفكر فى حالة العمل إذ ليس هناك فكر مجرد بغير رموز لغوية، وبقدر ما تكون اللغة دقيقة وحية ومبرأة من الفوضى يكون الفكر دقيقا وحيا ومبرأ من الفوضى (محمد المنجى الصيادى 1958، 1) ولذلك نجد أن من بين العقبات فى طريق التفكير الفقر فى الألفاظ، فالإنسان لايستطيع أن يفكر

تفكيراً كاملاً إذا لم يجد لفظا مناسبا لكل مدرك أو فكرة، إن عدد الكلمات التى يفهمها الشخص بوضوح فى أى ميدان من ميادين الفكر له دلالة على المدى الذى يستطيع أن يصل إليه فى التفكير فى هذا الميدان.

وهكذا نصل إلى أننا إذا أردنا أن نفهم الفكر والنتاج الفكرى فالواجب أن ندرس اللغة، ذلك لأن الفكر ليس سوى العبارة اللغوية التى نشير بها إلى واقعة معينة من وقائع العلم، وهكذا أيضا نقول إن اللغة إذن أداة لنمو الوعى بالنفس من خلال ما سجل المجتمع من كتب تبحث تاريخه وجغرافيته واقتصاده وأدبه وقيمه ومثله وعقائده وأمجاده ومنجزاته وتطلعاته وآماله .... الخ ولعل الوعى بالنفس يكون الثقة والانتماء للثقافة ومن ثم المجتمع.

ولقد أثبتت اللغة العربية أنها قادرة على التعبير فى شتى الفنون والعلوم وأنها استوعبت كل ما نقل إليها من علوم الأمم الأخرى فى الفلسفة وفى المنطق والطب والصيدلة والكيمياء والرياضيات، كما حملت حركات من الثقافة العربية الإسلامية ونهضتها الحضارية إلى أوربا كالطب بآرائه ونظرياته ومناهجه العلمية، والعلوم من رياضيات وفلك وجغرافية وكيمياء وفيزاء وطب وصيدلة وصناعة ومخترعات ورحلات، سواء أكانت هذه الحركات نابعة من الوطن العربى أم نقلتها وغذتها اللغة العربية (محمد أحمد الشريف، 1979، 40).

فاللغة العربية لغة واسعة ودقيقة، غنية بمفرداتها، وغناها ودقتها يجعلانها قادرة على الوفاء بالمعانى والمفاهيم الدقيقة، حية متطورة تواكب التغيرات الحضارية ومطالب العصر، أى يجعلانها قادرة على أن تكون لغة لجميع الأغراض بما فى ذلك العلوم الحديثة، يقول زكى نجيب محمود: "إن اللغة العربية ككل اللغات الغنية الأخرى فيها الطاقة لأن تكتب بها العلوم كأدق مما تكون الكتابة العلمية (زكى نجيب محمود 1987، 530) والدليل على ذلك أن أوربا قد استفادت عبر التاريخ من المصطلحات العلمية فى ميادين العلم المختلفة، وأسهمت الحضارة العربية فى نقل أفانين العلم إلى أوربا، بحيث إن بداية عصر النهضة العلمية فى أوربا إنما تمت على ما انتقل إلى الغرب من تراث الأمة العربية، ومن نافلة القول الآن التدليل على ذلك، فهو معروف ومشهور، إلى جانب ذلك أيضا نقول: "كيف تمكن العلماء الأجانب من نقل علومنا العربية فى الطب والكيمياء والرياضيات والجغرافيا... إلخ إلى لغاتهم ولا تتمكن لغتنا العربية من استيعاب المصطلحات الأجنبية؟ ألم يقم بعض المستشرقين بتدريس المواد العلمية باللغة العربية أمثال

الدكتور (كرنيليوس) الذى درس الكيمياء والنبات والجيولوجيا والفلك والطبيعة بالعربية وله فيها مؤلفات وأيضا فى الرياضيات والفلك (محمود السيد، بدون، 37). وفى الوقت الحاضر "وباعتراف بعض الهيئات الدولية فإن الطلبة الذين تلقوا علومهم الطبية باللغة العربية لايقلون مكانة عن خريجى الجامعات الأجنبية، مما يؤكد أن اللغة العربية لاتقل شأنا عن اللغة الإنجليزية فى قدرتها على التعبير عما هو مطلوب (عبد الكريم خليفة 1984، 142) كما ألف بها فى الطب كثيرون من أعضاء هيئة التدريس. ومع هذه القدرة للغة العربية إلا أننا نرى فريقا ممن خطفت أبصارهم مظاهر المدنية الغربية دون لبابها ركنوا إلى مقولة مكذوبة، اخترعها الأعداء وروجوها فى البلدان العربية والإسلامية التى احتلوها، وأخذوا يغرسونها فى عقول الأجيال المتلاحقة من شباب الأمة، تلك المقولة المكذوبة، هى أن العربية إن صلحت أن تكون لغة فقه وأدب وشعر فإنها لاتصلح أن تكون لغة علم أو لغة طب أو لغة صناعة أو تجارة، لافتقارها إلى الألفاظ العلمية والتعابير الدقيقة التى تتطلبها العلوم الحديثة وتستلزمها التكنولوجيا المعاصرة. (كارم السيد غنيم 1989، 37) ولذلك فإن هذه المقولة الكاذبة إنما ترجع إلى أمر من أمرين: "إما جهل قبيح بتاريخ هذه الأمة، وما أنتج فيها وأبدع من أنواع العلوم، مما فتح الطريق- كما ذكرنا- أمام النهضة الأوروبية الحديثة، وأن الحضارة المعاصرة حضارة الثورة العلمية التكنولوجية هى الحصاد التاريخى للعطاء العربى، وإما عدوان صريح على هذه الثقافة الإنسانية التى تملك تراثا لم يكد يتاح للغة غيرها لا حجما ولا كيفا ولا تنوعا (محى الدين صابر 1982، 77) وخطورة هذه المقولة لاتتهدد اللغة العربية فى ذاتها وإنما تتمثل فى انهزام أبنائها نفسيا أمام الزحف اللغوى الأجنبى واستسلامهم فى مجال العلوم للغات الأجنبية بحيث تكونت فى العالم العربى جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلوم والتكنولوجيا قناعة بعلاقة هشة مع لغة الحضارة، فمادامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الإنجليزية فلا بأس من عزلة العربية بل وقتلها. (كارم السيد غنيم 1989، 41) ولقد أوحى هؤلاء للطلاب وأولياء أمورهم بأن العربية لاتصلح لدراسة العلوم. يحكى أحدهم –أحد من تناولوا هذه القضية- واقعة تؤكد هذا السياق فيقول: "وإنى لأذكر أنى رأيت أحدا فى الكويت، وهو رجل متعلم، فأخبرنى أنه ذاهب إلى العراق ليصحب ابنته ويعود بها من هناك بعد أن قبلت فى الكلية الطبية، وبلغه أن التدريس فيها بالعربية بحسب قرار الحكومة العراقية فقلت له: ولم تفعل ذلك؟ فأجاب أنه يرى أن لا سبيل إلى أن تعطى

العلوم الطبية بالعربية، وأنه لابد من لغة إنجليزية! من أجل ذلك عمد إلى التوجه بابنته إلى إحدى الجامعات الأجنبية فى الوطن العربى كبيروت مثلا. (إبراهيم السمرائى 1982، 432).

وفى هذا السياق لابد أن نشعر بقوة التحدى الذى يمثله انتشار الإنجليزية وهيمنتها مما أشرنا إليه سابقا ويشير إليه (وليد عنانى 2004، 1- 4) من أن كثيراً من التشريعات الحكومية فى البلاد العربية كفلت موقعا للغة الإنجليزية من حيث عدها اللغة الأجنبية الأولى فى النظم التشريعية، هذا بالإضافة إلى شيوع تعليمها فى رياض الأطفال، واستخدامها لغة رئيسة فى التعليم الجامعى ولاسيما فى العلوم الطبيعية والطبية والهندسية والحاسوب والعلوم الإدارية والسياسية والاقتصادية، واستخدامها لغة تعليم فى كثير من المدارس الخاصة لتدريس جميع المقررات الدراسية، واعتمادها لغة رسمية فى المعاملات التجارية القانونية التى تنفذها الدولة والشركات والمؤسسات العامة والخاصة، ومع الزيادة المضطردة بالملايين للمستخدمين العرب بشبكات الانترنت، ومواقع التواصل الاجتماعى مثل (الفيس بوك وتويتر) وما يستتبعه ذلك من اتساع مساحة التواصل بالإنجليزية وانحسار رهيب لاستخدام العربية، نشعر بدونية العربية، ونحس بالتخريب، وباتهام العربية بالقصور فى ميدان العلم والتعليم، وهذا يعيدنا إلى ما يعرف بالباء المدمرة، ففرق بين تعلم الإنجليزية والتعلم بها.

ولقد شهد الآخرون على قدرة اللغة العربية على أن تكون لغة علم، وأن لها من الخصائص ما يجعلها مؤهلة لحمل كل أنواع إنتاج العقل البشرى فى تطوره المعرفى، أتذكر فى هذا السياق مقولات عدة جاءت فى ثنايا حديث المستشرقين عن اللغة العربية فها هو الفرنسى رينان يؤكد أن اللغة العربية فاقت لغات عديدة بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام بيانها، ويذكر جوستاف جرونيبام أن اللغة العربية لغة تفوق اللغات قوة وبيانا وسعة، وهى مع هذه السعة أخصر اللغات فى إيصال المعنى وفى النقل إليها، كما يذكر الألمانى نولدكة أن اللغة العربية تمتاز بوفرة المفردات وقوة التعبير عن المعنى بدقة لأنها ترمز للفرق الدقيق فى المعنى بكلمة خاصة، وهى بهذا لغة لشئون الحياة الرفيعة، ومن ثم لغة المعاملات والعلوم. أما ماسينون فيقول: استطاعت العربية أن تعبر عن أدق خلجات الفكر سواء كان ذلك فى الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات (التعبير عن الملاحظة العلمية) أو خيالات النفس وأسرارها، وهى اللغة التى أدخلت فى الغرب طريقة التعبير العلمى، وهى تعتبر من أنقى اللغات، فقد

انفردت بتفردها فى طرق التعبير العلمى والفنى. ولقد أشار ماريوبل مؤلف كتاب (قصة اللغات) إلى أن اللغة العربية هى اللغة العالمية فى حضارة العصور الوسطى، وكانت رافداً عظيماً للإنجليزية فى نهضتها وكثير من اللغات الأوربية، وقد أورد قاموس littre قوائم بما اقتبسته هذه اللغات عن مفردات عربية تقدر بالآلاف. أما المستشرق اللمانى فربناغ فيذكر أن لغة العرب ليست فقط أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا فى التأليف بها لايكاد يأتى عليهم العد.

خلاصة القول إن اللغة العربية ليست بعاجزة عن استيعاب المعارف المعاصرة، وأثبتت قدرتها وجدارتها فى بعض الجامعات العربية مثل الجامعات السورية وغيرها على تمثل العلوم المعاصرة، كما أنها مازالت وستظل تحمل معها وسائلها المختلفة التى تمكنها من النهوض والرقى والاتساع، وتؤهلها للوصول إلى مكانة لائقة لغة دولية عالمية للتواصل، ومن أهم هذه الوسائل والخصائص الاشتقاق والنحت والاقتراض والقياس.

وحيث إن اللغة العربية تتميز بهذه الخصائص التى تمكنها من بلوغ مكانتها اللائقة، فإننا نقول كما قال نبيل على (نبيل على ونادية حجازى 2005، 311) لاعاصم اليوم إلا لغة عربية متطورة، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال مواجهات صريحة وواضحة وعلمية وحاسمة تجاه كثير من القضايا اللغوية مثل ازدواجية الفصحى والعامية، وتعريب التعليم، واستخدام اللغات الأجنبية فى التعليم، وأزمة تعليم العربية لأبنائها وللناطقين بغيرها.

وبالرغم من المواجهات الصريحة والواضحة التى يرى نبيل على ضرورتها إلا أنه فى ذات الوقت يفتح أمامنا الباب للنجاح فى هذه المواجهات حيث يقرر ويشير إلى ما حققته اللغة العربية فى ميدان تكنولوجيا نظم المعلومات فيقول (نبيل على- نادية حجازى سنة 2005، 358) "إن ما حققته اللغة العربية من نجاح فى المعالجة الآلية هو نجاح تكنولوجى اقتصادى ملحوظ، فعلى مستوى الحرف ثم تطوير نظم تشغيل ثنائية اللغة (إنجليزية وعربية) وعربت نظم الكمبيوتر والمعلومات، حيث ظهرت وحدات للإدخال والإخراج تتعامل مع اللغة العربية مثل لوحات المفاتيح، والطابعات، وشاشات العروض، وتطوير برامج لتنسيق الكلمات (W P) وبرنامج لقراءة النصوص العربية آليا باستخدام المسح الضوئى للحروف".

"وعلى مستوى الكلمة طور معالج صرفى آلى قادر على تحليل أية كلمة عربية إلى عناصرها الاشتقاقية والتصريفية، وتفكيكها من اللواحق والسوابق، ثم تحليل ساق الكلمة إلى

الجذر، وتوليد الكلمات النهائية من هذه العناصر الأولية، ولقد مكن ذلك من تحقيق إنجازات مهمة تشمل نظم اكتشاف الأخطاء الهجائية، ونظم البحث فى النصوص العربية على أساس صرفى".

"وعلى مستوى الجملة طور نظام آلى لإعراب الجملة العربية، ولقد مكن هذا من تطوير نظام آلى لتشكيل الجملة العربية تلقائيا ، كما مكن من تطوير برامج تحويل النصوص العربية إلى مقابلها المنطوق بعد أن توافرت أداة عملية لتشكيل هذه النصوص آليا والذى يتعذر دونه نطق الكلمات العربية، ومهد نظام الإعراب الآلى للدخول فى عدة مجالات متقدمة لتكنولوجيا اللغة ومنها نظم الترجمة الآلية".

ومن المجهودات المبذولة لإثبات أن اللغة العربية لغة علم ومعرفة، ولغة معتمدة فى مجتمع المعرفة تستقبل وتنتج، ما تقوم به مجامع اللغة العربية والمجامع العلمية أينما وجدت فى العالم العربى من تعريب للمصطلحات فى شتى ميادين العلوم والمعرفة الإنسانية، فقد أنتجت العديد من المعاجم وعربت آلاف المصطلحات ونحتت مثلها، وكل يوم تثبت هذه المجامع بالدليل القاطع أن العربية لغة تستطيع أن تستوعب كل مصطلحات العلم ومفاهيمه لفظا ومعنى، وبهذا تعلن عن قدرتها على أن يكتب بها العلم ، ويسجل البحث العلمى، وأن مفرداتها وتراكيبها وأساليبها وتعبيراتها قادرة على ذلك، الأمر يحتاج فقط لأن يفعل ذلك أهلها، فاللغة العربية ليست قاصرة وإن كان هناك قصور فهو فى أبنائها.

وفى الإشارة إلى الترجمة كتحد من تحديات مجتمع المعرفة يذكر نبيل على ضرورة الاهتمام بالترجمة إلى العربية، وتنشيطها، على أن يتم ترشيد عملية اختيار وانتقاء الأعمال المترجمة حيث حدد مجموعة من الأسس العامة لذلك منها: (نبيل على- نادية حجازى 2005 ، 375-380):

- التغطية الموضوعية المتوازنة للفروع العلمية المختلفة بحيث تشمل العلوم الأساسية والطبيعية والإنسانية وكذا الفنون وعلم الجمال.
- التركيز على التطبيقات التكنولوجية المحورية، وتشمل النانوتكنولوجى والتكنولوجيا الحيوية وتكنولوجيا الزراعة والطب والدواء والتعليم والإعلام ......الخ.

- تغطية الأجناس المختلفة لخطاب الثقافة العلمية التى تشمل تاريخ العلم وفلسفته وسير العلماء، وعرض المضمون المعرفى للفروع العلمية المختلفة لأهم الاكتشافات والإنجازات العلمية والخيال العلمى والأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والبيئية للعلم والتكنولوجيا.
- التكامل المعرفى الذى يفرض عدم النظر إلى الخريطة المعرفية الإنسانية بوصفها مجموعة من الجزر المنعزلة، بعد أن سقطت كثير من الحواجز التى كانت تفصل فى الماضى بين علوم الطبيعيات وعلوم الإنسانيات من جانب، وبين العلوم والفنون الأخرى من جانب آخر.
- التركيز على الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، حيث إن معظم المصادر العلمية تنتشر باللغة الإنجليزية، ولكن ذلك لايعنى إغفال اللغات الأجنبية الأخرى نظراً للمساهمة الضخمة للفكر الفرنسى فى مجال علوم الإنسانيات والفكر الألمانى واليابانى والصينى فى مجال الإنجازات التكنولوجية.
- التركيز الشديد على تعريب المصطلحات العلمية فى شتى ميادين المعرفة الإنسانية بدون استثناء، مع إثراء اللغة بنحت وصياغة مصطلحات جديدة قادرة على حمل المضمون العلمى.

وفى الإشارة إلى البحث العلمى واللغة العربية نجد أن هناك اتهاما للبحوث العلمية العربية فى شتى مجالات العلم وميادينه- باستثناء ما يكتب بالإنجليزية وغيرها من اللغات الأجنبية- بضعف اللغة وركاكتها من حيث الوضوح والترابط وسلامة الصياغة واكتمال المعنى ووضوحه، بالإضافة إلى كثرة الأخطاء النحوية والهجائية، واختفاء علامات الترقيم، إلى آخر ما يجعل لغة البحوث لغة لاتصلح للتعبير عن شىء فما بالنا بالتعبير عن العلم!!

ولعل هذا يقتضى العناية بترقية لغة الباحثين، وعقد دورات لغوية تدربهم على كيفية الكتابة بشكل عام والكتابة العلمية المنهجية بشكل خاص ، وأن يكون مدخل الشيوع ومدخل الأخطاء الشائعة من أهم المداخل التى تستند إليها عملية ترقية لغة الباحثين وتدريبهم.

ومما ينبغى الالتفات إليه تنقية الأسلوب العربى من استخدام تعبيرات لاتصلح للبحث العلمى ولاتستخدمها اللغات الأخرى، والتأكيد على عدم استخدام تعبيرات مثل [فى الحقيقة- مما لاشك فيه- من المسلم به- من المتفق عليه- مما اتفق عليه- بدون شك- أمر مقطوع به- أمر

مدهش- رائع- الإلمام بـ- الوقوف على- النظر إليه بعين الاعتبار- نأخذه فى حساباتنا- نأخذه فى حسباننا- ومن ناقلة القول- حبذا لو فعلنا- لا يأتيه الباطل- يطلع على- يجرى مسحاً- نفصل القول- القول الفصل- نقدم لمحة موجزة- نعرض نبذة مختصرة- فى ضوء ما سبق- نلقى الضوء على- لاجدال فى ذلك ... الخ).

وفى هذا السياق لابد أن نشير إلى شىء شديد الأهمية وهو أنه عندما يجد العربى لغته وقد اصبحت لغة فاعلة فى مجتمع المعرفة لأنها مهيأة لذلك وقادرة عليه، فتسرى فيه الروح العلمية، وما يترتب عليها من المواقف والاتجاهات، ولتصبح هذه الروح جانبا مهما من ثقافة العامة ومن أنماطها السلوكية الواقعية، وخير ما نقف به فى مواجهة تحديات الثورة العلمية التقنية، ولعل هذه الروح تساعد على تحديث العقل العربى بجملته وتمكينه من استيعاب روح العصر مجردة من عيوبها وسلبياتها (محمود السيد، بدون، ص30) .

ولعل طريقنا إلى تحديث العقل العربى، ووسيلتنا إلى المنهجية العقلانية، وأداتنا لمجابهة تحدى الثورة العلمية التكنولوجية يتمثل فى المناهج الدراسية وأداتها اللغة العربية حيث تهدف التربية – وأداتها كما ذكرنا اللغة العربية – إلى ترسيخ العلم فى المتعلمين منهجاً ومحتوى وفكراً وتطبيقاً، والميدان يزدحم بالأدبيات حول الدور الذى ينبغى أن يقوم به تعليم اللغة العربية .

ولقد أظهر تقرير التنمية الانسانية العربية (2003) أن اللغة العربية مهيأة لتقوم بدور فاعل فى بناء مجتمع معرفة عربى، يستقبل المعرفة وينتجها بالعربية، مع تزايد أهمية التعبير اللغوى فى ثقافة المعلومات والاتصالات، خاصة مع انتشار الإنترنت، الذى يمكن أن يفضى إلى أن تصبح اللغة العربية من أهم مقومات التكتل المعلوماتى (تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، 121).

توجهات وتوصيات

فى ضوء هذه الصفحات القليلة والعجولة وما تضمنته من رؤى وأفكار حول اللغة العربية فى مجتمع المعرفة، نتقدم بمجموعة من التوجهات والتوصيات علها تكون رأس جسر علمى

للعبور باللغة العربية لتأخذ مكانها اللائق بها فى مجتمع المعرفة. من هذه التوجهات والتوصيات ما يلى:-

1- قيام المجامع اللغوية وكل الهيئات والمؤسسات والمنظمات المدنية والحكومية المهتمة باللغة العربية، تنمية وحفاظا وتعليما، بالتخطيط لسياسة لغوية يلتزم بها الجميع سعيا نحو الارتقاء باللغة العربية لغة لمجتمع المعرفة.

2- الاهتمام بالبحث العلمى الجاد فى ميدان الدراسات اللغوية للغة العربية بشتى أبعادها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية نظريا وتطبيقيا ، وفى ميدان دراسات تعليمها بمختلف مكوناتها أهدافا ومحتوى ونشاطا وتدريساً وتقويماً.

3- العمل على نشر مجهودات المجامع اللغوية العربية وتداولها وتوظيفها، متمثلة فى المعاجم اللغوية، والمعاجم المتصلة بشرائح المعرفة الإنسانية، ودراسات الأساليب والألفاظ وغيرها.

4- إنشاء مركز عربى دولى لتطوير تعليم اللغة العربية لأبنائها وللناطقين بغيرها، يكون مركزاً فعالاً فى بنيته ومرتكزات عمله وتطبيقاته، وقواه البشرية، وهذه الأخيرة ينبغى أن تختار من صفوة القادرين على التجويد والتطوير والتجديد فى ميدان تعليم اللغة العربية لأبنائها وللناطقين بغيرها لغويا وتعليميا . وأقترح أن يكون من مهام المركز ما يلى:

- تبنى الدعوات والمداخل العلمية والتصورات الجديدة فى تعليم اللغة العربية، وتحويلها إلى واقع تجريبى، ثم إلى واقع تعميمى؛ أى الاتجاه نحو تجديد وتجويد تعليم اللغة العربية بشكل شامل.
- دراسة ما يمكن عمله إزاء جعل لغة التدريس فى كل المواد فى البلاد العربية هى اللغة العربية الفصيحة، فمن ذلك النظر فى خطة قومية لإعادة تأهيل جميع المعلمين تأهيلا لغويا مناسبا بالقدر الذى يسمح به الوقت، وتسمح به القدرات والإمكانيات المالية، وذلك حتى يمكن وضع خطة قومية موازية لتأهيل الطلاب المعلمن قبل تخرجهم، وتبصيرهم بأساسيات لغتهم العربية، كى يصير تعبيرهم عن حقائق موادهم إلى وضوح ودقة ونظام ومنهجية، ولقد عبرت استراتيجية تطوير التربية العربية عن ذلك بقولها: (المبادرة فى

أسرع وقت ممكن إلى اتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس فى جميع مراحل التعليم) (محمد أحمد الشريف 331،1979).

- إعادة النظر على المستوى العربى فى إعداد معلم اللغة العربية من حيث: الإعداد التخصصى والإعداد المهنى، وتزويده بالمداخل الجديدة وتبصيره بفنيات التدريس الحديثة، وتدريبه تدريباً فعلياً على تبنى المداخل والفنيات الجديدة، بحيث يكون قادراً على إستيعاب فلسفاتها من جهة، وتطبيقها من جهة أخرى، وينبغى أن نشير هنا إلى ضرورة إدخال التقنيات الحديثة مثل العقول الإلكترونية فى هذا المجال.
- العمل على وضع خطة ثقافية تبصر أجيالنا بقدر لغتهم وعزتها وقدسيتها، وأن فى تعلمها وإتقانها فخراً شخصياً، ومكسباً روحياً كبيراً، وربحاً مادياً لايضارع، وأنها دائماً عنوان الشخصية ومكون أساسىّ لها، وذلك حتى يمكن أن تشيع روح الاعتزاز باللغة العربية، وتقديرها والتمسك بها، والإقبال على تعلمها، وإدراك ما يوجه إليها من سهام الهدم، والدفاع عنها بروح وطنية وولاء.
- إجراء الدراسات والبحوث اللغوية والتربوية التى تهدف إلى تطوير مناهج تعليم اللغة العربية، وتطبيق التجارب فى تدريسها بدءاً من مرحلة الحضانة وحتى الانتهاء من التعليم الجامعى، وهذا ما اشارت إليه استراتيجية تطوير التربية العربية حيث أوصت بضرورة :"تطوير طرق تدريس اللغة العربية وتعلمها بالمدارس، وهذا يتطلب إجراء بحوث ودراسات واسعة ومستمرة لتيسير اللغة على أبنائها، ولتوحيد معانى الكلمات والمصطلحات بين البيئات العربية المختلفة، ولتمكين الناشئين من استيعابها فى سهولة" (محمد أحمد الشريف 1979، 334) .
- ربط الجهود المبذولة فى تطوير تعليم اللغة العربية من وزارات التربية ومراكز البحوث التربوية وكليات التربية والمجامع اللغوية، وروابط وجمعيات المعلمين بعضها ببعض، واعتماد الناجح منها وتدعيمه وتعميمه.
- حشد الكفايات البشرية من أساتذة وخبراء وباحثين ومعلمين، ممن يمكن إذا وفرنا لهم الجو العلمى والإمكانات المادية والبحثية أن يوجهوا كل طاقاتهم وفكرهم وبشكل كامل

ومستمر للمتابعة الدائمة لتعليم اللغة العربية، وتصحيح مسار هذا التعليم وتطويره وتجديده وتجويده.

- دراسة المشكلات الناجمة عن الازدواج اللغوى بين الفصيحة والعامية فى تعليم اللغة العربية، مما يؤدى إلى تيسير تعليم الفصحى واستخدامها، وذلك ما أشارت إليه استراتيجية تطوير التربية العربية فيما يلى:-

أ- حصر الثروة اللغوية بين الطلاب فى مختلف المراحل والمستويات، ونقدها وبيان نواحى القوة ونواحى الضعف فيها، والسعى لردها إلى الفصحى وإلى دلالات مفاهيميها، ومدى غناها وملاءمتها لمستويات المتعلمين.

ب- إعادة تنظيم تلك الثروة بتنقيتها من العامية وردها إلى الفصيحة وإغنائها بمفردات جديدة ، واضحة وسهلة، وبإخضاع دلالات مفاهيمها لمستويات النمو العقلى.

ج- دراسة اللغة العربية فى ضوء العلوم اللسانية الحديثة إبرازا لمزاياها وحيويتها من ناحية، وتيسيرا لتعليم أصولها وقواعدها من ناحية ثانية.

د- القيام بدراسة تقويمية شاملة ناقدة جادة تستوفى كل جوانب عملية تعليم اللغة العربية وعناصرها ومكوناتها، بدءاً من مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية وانتهاء بنهاية المرحلة الثانوية، بحيث نشخص علمياً كل أمراض الواقع، فضلا عن دراسة تقويمية لما تم فى ميدان مناهج وتدريس اللغة العربية من دراسات وبحوث علمية على مستوى العالم العربى، مع التركيز على نتائج هذه البحوث وتوصياتها، وفى ضوء هاتين الدراستين التقويمتين يمكن اتخاذ القرارات السليمة بصدد إعادة النظر فى تعليم اللغة العربية، أهدافا ومحتوى ونشاطا وطريقة ومعلما وتقويما وتطويرا.

5- ويورد وليد عنانى مجموعة من المقترحات يرى أنه من خلالها يمكن ترقية اللغة العربية لتكون لغة للمعرفة استيعابا ونشراً وتوثيقا وحفظا وتوليداً وتوظيفاً، أرى أن أوردها كما جاءت عنده (وليد عنانى سنة 2004 ، 4-5).

- إبطال الشبهات المثارة حول اللغة العربية المتمثلة فى فضل العامية على الفصحى، وعدم علمية اللغة العربية، وصعوبة الكتابة العربية وتعقيدها، وتخلف العربية عن مطاوعة الحاسوب .
- تهيئة العربية لبناء مجتمع المعرفة من خلال تعريب الحاسوب، ومنزلته فى دعم اللغة العربية، وترقية الدراسات اللسانية العربية، واللسانيات الحاسوبية العربية، وتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، وتطوير تعليم اللغة العربية ومهاراتها.
- إبراز منزلة اللغة العربية فى بناء مجتمع المعرفة العربى المتمثلة فى قدرتها على النفاذ إلى مصادر المعرفة ونقلها واستيعابها، ونشرها وتوثيقها وحفظها وتوظيفها وتوليدها.
- الإهتمام باللسانيات الحاسوبية العربية والربط بين تقدم اللسانيات الحاسوبية العربية ومنجزاتها وتقدم العربية وتهيئتها لمستقبل أفضل، وتعريب الحاسوب وملحقاته ومعداته سيكفل توفير برامج عربية صالحة للمجتمع العربى، مما يسهم فى تحطيم احتكار الإنجليزية للحاسوب وهذا يؤدى إلى أن يكون كل مجتمع عربى يعرف الإنجليزية أو لا يعرفها قادراً على استعمال الحاسوب، وبذلك توطن المعرفة الحاسوبية فى بيئة عربية خالصة وهى أولى خطوات بناء مجتمع المعرفة المنشود.
- الاهتمام بالنشر الإلكترونى باللغة العربية لأن المعلوم أن الإنجليزية هى اللغة الأكثر انتشاراً واستخداماً على الشبكة الدولية فلابد من توسع البلاد العربية فى النشر الإلكترونى وتطبيقاته المتعددة.
- العمل على نشر اللغة العربية فى الخارج من خلال افتتاح المدارس العربية التى تعتنى بتدريس العربية والثقافية الإسلامية لتعليمها لأبناء الجاليات العربية المسلمة وشدهم نحو التراث الذى تحمله العربية من خلال تقديم المنح للطلاب الراغبين فى تعلم العربية.
- التخطيط اللغوى السليم من خلال وجود سيسات لغوية عربية تسهم فى حل كثير من القضايا اللغوية المتعلقة بالمجتمع العربى، ومن أهم الأمور التى يجب دراستها للتخطيط اللغوى: الازدواجية اللغوية والتحول نحو الفصحى، وتعريب التعليم ولاسيما فى الكليات العلمية

والطبية، والترجمة ووضع سياسات ترفع من شأن الترجمة فى نقل المعرفة وتأهيل المترجمين، وكذلك تعليم اللغات الأجنبية بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

- الاهتمام بدعم منزلة اللغة العربية وترقيتها عالمياً من الوجهة الاقتصادية من خلال: اشتراط إتقان اللغة العربية للعمالة الوافدة إلى البلدان العربية، وافتتاح مراكز ثقافية فى السفارات العربية لتقدم دورات تدريبية وتعليمية باللغة العربية للخبراء والمتخصصين الراغبين فى العمل فى الوطن العربى مدفوعة الأجر، وكذلك اشتراط ترجمة كل ما يكتب على البضائع المستوردة إلى اللغة العربية.

وفى الختام أقول: **أرجو أن أكون قد وفقت فى عبور المحيط اللجى بقارب مطاطى.**

والله ولى التوفيق

المراجـــــع

1- **إبراهيم السمرائى (1982):** تعريب الوسائل وتيسير تعلم العربية، التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

1- **خير الدين حسيب (1982):** كلمة الافتتاح، التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية، "بحوث ومناقشات الندورة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية" ، بيروت.

2- **زكى نجيب محمود (1987):** تجديد الفكر العربى، ط8 ، دار الشروق ، القاهرة.

3- **عبد الكريم خليفة (1984) :** دور المجامع اللغوية فى الحياة العلمية العربية المعاصرة، الموسم الثقافى الثانى، مجمع اللغة العربية، الأردن.

4- **فوزى رزق شحاتة (2001):** استراتيجية تطوير نظام البحث التربوى المصرى فى ضوء متطلبات عصر المعلومات، القاهرة، المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية.

5- كارم السيد غنيم (1989): اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة فى عالمنا الإسلامى ، مجلة عالم الفكر، المجلد (19)، العدد الرابع، مارس، القاهرة.

6- محمد أحمد الشريف وآخرون (1979): استراتيجية التربية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جـ1.

7- محمد سيد أحمد (1995): حول إشكالية الازدواجية (شمال وجنوب)، ورقة عمل، المستقبل العربى ، جـ18.

8- محمد المنجى الصيادى (1982): التعريب فى الوطن العربى، التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية ، مرجع سابق.

9- محمود أحمد السيد (بدون): فى قضايا اللغة العربية، الكويت، وكالة المطبوعات.

10- محمود كامل الناقة (1977): أساسيات تعليم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة.

11- محى الدين صابر (1982): الأبعاد الحضارية للتعريب ، التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى، مرجع سابق.

12- وليد عنانى (2004): العولمة اللغوية، مجلة البصائر، العدد الثانى، جامعة البتراء، الأردن.